جامعة إفريقيا العالمية
المركـز الإسلامــي الإفريقــي

المؤتمر العالمي للقرآن الكريم ودوره في بناء الحضارة الإنسانية
(بمناسبة مرور (١٤) قرناً على نزوله)

٢٠ ـ ٢٢ محرم ١٤٣٣هـ ، الموافق ١٥ ـ ١٧ ديسمبر ٢٠١١م
الخرطوم ـ السودان

لجنة الأوراق والسكرتارية

الأوراق العلمية

(الكتاب الثالث)

الإخراج الفني والتصميم
الأستاذ: طارق فاروق عبدالله هارون
الأستاذ: عبدالرحمن محمد الوسيلة

تصميم الغلاف
الشيخ الأمير

محرم ١٤٣٣هـ / نوفمبر ٢٠١١م

لجنة الأوراق والسكرتارية

١) الدكتور/ عمر أحمد سعيد	رئيساً .
٢) الدكتور/ عبدالقيوم عبدالحليم الحسن	رئيساً مناوباً.
٣) الدكتور/ كمال محمد جاه الله	عضواً .
٤) الدكتور/ محمد عبدالقادر محمد	عضواً
٥) الدكتور/ يوسف خميس أبورفاس	عضواً .
٦) الدكتور/ المعتصم محمد الأمين	عضواً .
٧) الأستاذ/ طارق فاروق عبدالله هارون	عضواً مقرراً .
٨) السماني علي أحمد	عضواً .

المحتويات

م	المـــــوضـــوع	رقم الصفحة
.١	**المحتويات**	أ
.٢	**مقدمة الكتاب**	ب
.٣	**تقديم الكتاب بروفسور حسن مكي محمد أحمد**	ج
.٤	**أخلاق الصحابة في القرآن الكريم** **(د. حسن علي الشايقي –السودان)**	١ – ٢٧
.٥	**خصائص الأحكام في القرآن الكريم تطبيقاً على الطهارة** **(د. علي عبد الله محمد الحسين –السودان)**	٢٩ – ٦٣
.٦	**العلاقات الدولية: مفهومها، وقواعدها الشرعية، وتطبيقاتها العملية في ضوء القرآن الكريم (د. إبراهيم محمد أحمد البلوله –السودان)**	٦٥ – ٨٨
.٧	**المبادئ الأساسية لحماية حقوق الإنسان في القرآن الكريم (دراسة خاصة بالنزاعات المسلحة في القانون الدولي الإنساني)** **(د . بدر الدين عبد الله حسن حمد-السودان)**	٨٩ – ١١٣
.٨	**حقوق المرأة في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في ضوء ما جاء في القرآن الكريم (أ: تهاني إبراهيم محمد محجوب- السودان)**	١١٥ – ١٣٨
.٩	**مضامين التربية البيئية في القرآن الكريم** **(د. محمد علم الدين معروف –السودان)**	١٣٩ – ١٧٢
.١٠	**مبادئ تربية الأطفال في القرآن الكريم**	١٧٣ – ٢١١

	(د. محيي الدين عبد الله حسن إبراهيم- السودان)	
.١١	**القيم التربوية في القرآن الكريم (تربية القلوب نموذجاً)** **(د. إدريس علي الطيب علي –السودان)**	٢١٣ _ ٢٤٨
.١٢	Al- Qur'an: The Corrective Measure for the 21st Century (Dr. Zulfiqar Ali Shah – **Amirca**)	**1 –49**

مقدمة الكتاب:

نضع بين يديك- عزيزي القاريء- هذه المجموعة من الأوراق العلمية التي كتبت بأقلام متنوعة، قد تكون مختلفة في تناولها للقضايا التي تطرحها، لكن يجمعها أنها تصب في بحيرة واحدة تمثل محاور المؤتمر العالمي للقرآن الكريم ودوره في الحضارة الإنسانية الذي تداعت له أقلام الباحثين بمختلف مشاربهم وتخصصاتهم.

الحق أن هذه الأوراق المشار إليها ما كان لها أن تكون بهذه الصورة التي عليها الآن لولا اجتيازها لعدد من المحطات، التي تأتي في مقدمتها، تحكيم مستخلصها وإعادة تحريرها عبر لجنة مختصة، ومن ثم تحكيم الورقة نفسها عبر لجنة مختصة أيضا، ومن ثم تصحيحها لغوياً بواسطة لغوي متميز في مضمار التدقيق اللغوي.

ارتكازاً على ذلك ندرك مدى الجهد الذي بذل في إعداد محتويات هذا المجلد من الأوراق العلمية التي نأمل أن تقع موقعاً حسناً عند القرّاء فذاك ما نصبو إليه، والله ولي التوفيق.

تقديم الكتاب

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يؤدي هذا المؤتمر العلمي مهمته، كاملة في التعريف بدور القرآن في تشكيل الحياة الإنسانية على استحالة ذلك بالطبع. لأن لهذا الكتاب الإلهي إسهاماته التي تبدو وكأنها لا متناهية في تشكيل التاريخ الإنساني، وتشكيل الفضاء العام وتشكيل العقل والوجدان وكل ما يتعلق بالإنسان ودوره في هذه الحياة.

كل ذلك لان القرآن خطاب الله الكامل للإنسان ، الكتاب الجامع المفتوح للدراسة والتأمل في كل زمان ومكان ، هو مصدر المعارف الدائم يَعْظُم من يأخذ منه ، ويَشْرُف من يلجأ إليه، مورد الخير ومنبع البركة والنعمة وهو الحبل المتين والقوة التي لا تلين. لكل ذلك لم ينقطع الاهتمام به والاحتفاء بعظمته منذ أن نزل وسيظل كذلك إلى ما شاء الله. كما أن الإسلام، حتى وفي ظروف الكبت والإقصاء والتهميش، ظل بفضل هذا الكتاب يُمثل المرجعية للأفراد والمجتمعات سراً وباطناً في ظل أوضاع الاضطهاد والحرب ومحاكم التفتيش التي ما تزال دائرة في بعض بقاع الأرض.

والحق أن اهتمام جامعة إفريقيا وأهل السودان به لم يأت من فراغ، وإنما يعود ذلك إلى الأهداف والوجهة الأولى للمركز الإسلامي الإفريقي، نواة هذه الجامعة، التي احتضنها أهل السودان شعباً وحكومةً، وآزرهم عليها قوم كرام وحكومات وهيئات كريمة ، وهي ذات الجهات التي تدعم اليوم مؤتمر القرآن الكريم.

ولا يزال القرآن الكريم من أكبر اهتمامات جامعة إفريقيا المتمثلة في مطلوبات الجامعة المهولة من القرآن ودراساته، وحلقاته العامرة في مساجدها وقاعاتها.

لجنة التغطية الالكترونية Online Publishing Committee

د. أشرف محمد عبدالله / أ.عبدالماجد محمد أحمد / أ.مصطفى حسن ابراهيم / أ.التجاني محمد احمد كرار

"المؤتمر العالمي للقرآن الكريم ودوره في بناء الحضارة الإنسانية" جاء عنواناً لهذا التجمع القرآني الكبير . عنواناً تنطوي تحته محاور تركز في مجملها على إسهام القرآن في حضارة الإنسان في كل مجالات الإسهام . نتج عنه هذه الأوراق التي تصب بحوثها في خدمه القرآن وإبراز دوره الحضاري.

(ج)

هذا المؤتمر مجرد محاوله متواضعة لقراءة دور القرآن في بناء المجتمعات الإسلامية وكذلك معرفة إسهام العلوم التي بثها العقل الإسلامي في إعادة تشكيل العقل الإنساني الذي قاد لحضارة العلمية الحديثة، كما أن القرآن يظل وراء كل حدث كبير، وما التحولات الجارية في العالم الإسلامي اليوم إلا صدىً لهذا الكتاب الذي لا تنقضي عجائبه، لان القرآن وراء ازدهار المساجد ووراء إعمار الشباب لدور العبادة، ووراء العودة لله، والقرآن هو التجويد والعلم والعقل والتدبر، وطهارة اليد واللسان والعفة، وطهارة العقل والبنان وطهارة الجنان— وفي إطار هذه المعاني يجئ هذا المؤتمر.

ولكي يظهر المؤتمر في الصورة اللائقة بعظمة القرآن حرصت الجامعة على البرامج المصاحبة ومن بينها معرض القرآن الكريم الذي يبرز جهود أهل القرآن بالسودان وغيره من البلدان، الجهود الرسمية والشعبية القديمة منها والحديثة.

كما تشمل التظاهرة حدثاً قرآنياً كبيراً تتجمع فيه خلاوي السودان بفسيفسائها وأطيافها المختلفة حول " تُقَّابة القرآن " نار القرآن العظمى التي تجسد تقاليد أهل السودان في تعليم القرآن ودراسته.

بالإضافة لذلك فأن هذه التظاهرة ستشهد مشاركة وفعاليات واسعة من الشخصيات والمؤسسات المعنية بالقرآن محلياً وإقليميا وعالمياً بما يبلور عظمه القرآن وجلاله.

لجنة التغطية الالكترونية Online Publishing Committee

د. أشرف محمد عبدالله / أ.عبدالماجد محمد أحمد / أ.مصطفى حسن ابراهيم / أ.التجاني محمد احمد كرار

وأنا ، إذ أقدم هذا الكتاب للمؤتمرين والقراء وأصحاب الشأن والاهتمام ، لا أشك في أن قيام هذا المؤتمر بهذه الصورة سيجلب الخير والبركة لجامعة إفريقيا ومجتمعها ، وللسودان وأهله ودولته، عليه اسأل الله أن يكون في كل ذلك عملاً صالحاً وجهداً مباركاً ، وان يكون لهذا الكتاب الذي يحتوي على طائفة من الأوراق المقدمة في المؤتمر فائدة عامة ودور ايجابي في التعريف بالمؤتمر بما يشحذ الهمم ويثير القرائح للإسهام في نجاحه وازدهاره .

واسأله تعالى أيضاً أن يكون هذا المؤتمر مجرد فاتحة لمئات المؤتمرات التي تتناول هذا الشأن.

والله ولي التوفيق،،

بروفيسور/ حسن مكي محمد أحمد
مدير جامعة إفريقيا العالمية

جامعة إفريقيا العالمية International University of Africa IUA

المؤتمر العالمي للقرآن الكريم ودوره في بناء الحضارة الإنسانية

THE HOLLY QURAN: INTERNATIONAL CONFERECE

أخلاق الصحابة في القرآن الكريم

المحور السادس:الأخلاق في القرآن الكريم

(أخلاق الصحابة رضوان الله عليهم في القرآن)

إعداد:
الدكتور:حسن علي الشايقي
أستاذ مشارك
عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة إفريقيا العالمية

لجنة التغطية الالكترونية Online Publishing Committee

د. أشرف محمد عبدالله / أ.عبدالماجد محمد أحمد / أ.مصطفى حسن ابراهيم / أ.التجاني محمد احمد كرار

مستخلص البحث:

عندما سئلت السيدة عائشة عن أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم أجابت السائل بأن خلقه القرآن، وقد أخذ الصحابة هذا المنهج العملي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد مدحهم القرآن بذلك في قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ ﴾ (التوبة: ١٠٠).
فالصحابة هم القدوة الحسنة لنقل أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرته ويتأكد هذا المعنى في قوله تعالى:﴿ وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗاۚ ﴾ (الأعراف: ٥٨)
والصحابة الكرام من ثمار هديه صلى الله عليه وسلم وهم من أقوى الأدلة على نبوته بعد القرآن الكريم.
ولما كان الجانب العملي هو الصورة الأوضح في أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته فقد حاولت أن أنحو منحى عملياً في هذا البحث بربط الأخلاق بالجانب العملي في المجتمع المسلم، فقسمت البحث إلى أربعة محاور هي:

- الإيمان والقرآن والثبات.
- الهجرة والجهاد.
- بناء الدولة.
- السفارة والوفود.

وقد شمل الحديث بعض النماذج من سيرة الصحابة وأخلاقهم من خلال هذه المحاور منهم: سالم مولى أبي حذيفة في محور الإيمان والقرآن وأبو أيوب الأنصاري في محور الهجرة والجهاد، وعمر بن الخطاب في محور بناء الدولة، وحاطب بن أبي بلتعة في محور السفارة والوفود.

وهكذا جاءت أخلاق الصحابة في هذه المحاور مهتدية بالقرآن وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم مقتبسة من هذا المعين الذي لا ينضب ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد.

ABSTRACT:

The Companions’ Character in the Holy Quran

When seydah Aisha – may Allah be pleased with her – was asked: How was the Messenger’s character? She answered: His character was the Quran. The Prophet – pbuh – was the Companions’ model in this practical behaviour. Almighty Allah praised them in the Quran for this, saying (And the first forerunners [in the faith] among the Muhajireen and Ansar and those who followed them with good conduct – Allah is pleased with them and they are pleased with him, and he has prepared for them gardens beneath which rivers flow, wherein they will abide forever. That is the great attainment) Al-Tawbah:100.

So the Companions – may Allah be pleased with them – who are the good model, conveyed to us the Messenger’s practical conduct. This meaning is emphasized in the Quanic verse, (And the good land – its vegetation emerges by permission of its lord; but that which is bad – nothing emerges except sparsely, with the difficulty. Thus do we diversify the sings for a people who are grateful) Al-A‘araf:58.

They are the fruits of his education, and they are – after the Quran – the strongest evidence to his prophethood.

AS the practical aspect is the most significant reflection of the Prophet’s and the Companions’ ethics, I meant, in this study, to adopt a practical method, linking ethics and behavior to practice in the Muslim society. The research is divided into four topics, as follows:

- Faith, the Quran and steadfastness.
- Hijrah and Jihad.
- Building up the state.
- Foreign relations and delegations.

The research cites examples from the Companions’ lives and practices related to these topics; namely Salim Abu-Hothaifa’s sally as an example of the relation between faith and the Quran; Abu-Ayyoub AL-Ansari for Hijrah and jihad; Omar ibn Al-Khattab for state-building; and Hatib ibn Abi-Balta‘ah for foreign relations and delegations.

The Companions’ conduct pertaining to these topics/aspects was guided by the holy Quran and the Prophet’s tradition, drawing upon this source which never drains out, never stops coming up with fresh miracles and marvels, and never wanes with recontemplation.

May Allah the Exalted be Pleased with the Prophet’s Companions!

تمهيد :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ..

الحديث عن أخلاق أصحابه صلى الله عليه وسلم لا ينفصل عن الحديث عن أخلاقه فهم الذين حملوا الإسلام في حياته وبعد وفاته عليه الصلاة والسلام وكانت زوجاته أمهات المؤمنين نافذته إلى مجتمع النساء .

وكان أصحابه استمرارا له في مجال القدوة والدعوة فهم جزء من سيرته صلى الله عليه وسلم فإذا كان هو القائد فهم الجند.

وقد سأل أحدُ الصحابة السيدة عائشة– رضي الله عنها– عن أخلاق رسول الله صلي الله عليه وسلم فأجابته: كان خلقه القرآن. والحديث يرويه مسلم، عن سعد بن هشام بن عامر أنه سأل السيدة عائشة فقال: "أنبئيني عن خلق رسول الله صلى الله وسلم، قالت: ألست تقرأ القرآن؟ قلت بلى– قالت: فإن خلق نبي الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن"([i]). فقد أخذ الصحابة هذا المنهج العملي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

يقول الله تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠ ﴾ (التوبة: ١٠٠).

نفهم من هذه الآية أن السابقين من المهاجرين والأنصار قدوة الخلق في الحق. ويعد مذهب الصحابي حجة شرعية عند بعضهم على خلاف بين العلماء في حدود هذه الحجية([ii]).

يقـــول الله تعالى: ﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ (الأعراف: ٥٨).

ولقد كانت ثمار محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطيب والكمال والنضج بحيث تكفي وحدها شهادة علي أنه رسول الله ، ومن ثماره أصحابه صلي الله عليه وسلم فهم من دلائل نبوته، وأعلام صدق منهجه ، يقول الله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ (الفتح: ٢٩).

يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله في تفسير هذه الآية:

إرادة التكريم واضحة، لتكريم صحابة رسول الله .

ارادة التكريم واضحة والقرآن يسجل لهم لقطات ، اللقطة الأولى أنهم أشداء على الكفار رحماء بينهم – أشداء على الكفار وفيهم آباؤهم وإخوانهم وذوو قرابتهم، ولكنهم قطعوا هذه الوشائج جميعا رحماء بينهم وهم فقط إخوة دين – فهي الشدة لله والرحمة لله ، وهي الحمية للعقيدة والسماحة للعقيدة .

وإرادة التكريم واضحة وهو يختار من هيئاتهم وحالاتهم هيئة الركوع والسجود وحالة العبادة (تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا) والتعبير يوحي كأنما هذه هيأتهم الدائمة التي يراها الرائي حينما يراهم .

ذلك أن هيئة الركوع والسجود تمثل حالة العبادة وهي الحالة الأصيلة لهم في حقيقة نفوسهم، فعبرّ عنها تعبيرا يثبتها في زمانهم حتى كأنهم يقفون زمانهم كله ركعا سجدا.

واللقطة الثالثة مثلها، ولكنها لقطة لبواطن نفوسهم وأعماق سرائرهم ﴿يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ﴾، فهذه صورة مشاعرهم الدائمة الثابتة. واللقطة الرابعة تثبت أثر العبادة للظاهر، والتطلع المضمر في ملامحهم ونضجها على سمائهم، ﴿سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾ سيماهم في وجوههم من الوضاءة والإشراق والصفاء والشفافية، ومن ذبول عبادة الحي اللطيف، وليست هذه السيما هي النكتة المعروفة في الوجه كما يتبادر إلى الذهن عند سماع قوله: ﴿مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾ فالمقصود أثر العبادة، واختار لفظ السجود لأنه يمثل حالة الخشوع والخضوع والعبودية لله في أكمل صورها تتمثل في هذا الخشوع، أثره في ملامح الوجه حيث تتوارى الخيلاء والكبرياء، والفراهة، ويحل مكانها التواضع النبيل، والشفافية، الصافية والوضاءة الهادئة والذبول الخفيف الذي يزيد وجه المؤمن وضاءة وصباحة ونبلا .

الأخلاق في اللغة والاصطلاح:

وفي [iii]الخلق بالضم السجية والطبع والمروءة والدين وجمعه أخلاق(). الاصطلاح هو علم يوضح معنى الخير والشر، ويبين ما ينبغي أن تكون عليه معاملة الناس في أعمالهم وينير السبيل في عمل ما ينبغي(). وقال الماوردي : [iv]الأخلاق غرائز كامنة تظهر بالاختيار وتقهر بالاضطرار(). [v]

الصحابي في اللغة والاصطلاح :

جاء في مادة صحب (صحبه) كسمعه – صَحَابَة ، وصُحبة ، وهم أصحاب وأصاحيب وصحبان وصحاب وصَحَابة وصحبٌ واستصحبه لآزمة ([vi]).

وفي الاصطلاح :

يقول ابن حجر رحمه الله : أصح ما وقفت عليه ، أن الصحابي من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنا به ومات على الإسلام ، فيدخل في ذلك من لقيه ، من طالت مجالسته له أو قصرت، ومن روى عنه ومن لم يرو، ومن غزا معه ومن لم يغزو، ومن رآه ولم يجالسه، ومن لم يره كعارض كالعمى ويخرج بقيد الإيمان من لقيه كافرا ([vii]).

وقال البخاري من صحب النبي صلى الله عليه وسلم، أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه، ويشترط بعض الأئمة التمييز للصحبة، منهم يحيى بن معين وأبوزرعة وأبوحاتم وأبوداود.

يقول الواقدي: رأيت أهل العلم يقولون : كل من رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أدرك الحلم وعقل أمر الدين ورضيه فهو عندنا ممن صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو ساعة من نهار ([viii]). وقد ترجم أهل السيرة والتاريخ لحوالي سبعة آلاف من الصحابة، رغم أن من شهد فتح مكة أكثر من ذلك، بل إن من شهد حجة الوداع قدر عددهم بمائة ألف وهم المهاجرون والأنصار والأعراب والنساء والأطفال، وقد استطاع الصحابة أن يغيروا وجه التاريخ ونفروا في سبيل الله يبشرون بالإسلام وينشرون دعوته في مشارق الأرض ومغاربها وهم يقتدون

برسول الله صلى الله عليه وسلم، ويتأسون بأخلاقه فكان منهم أهل السابقة والإيمان والهجرة، وكان منهم أهل الفقه والحديث، وكان منهم أهل المناجزة والجهاد، وكان منهم بناة دولة الإسلام، وكان منهم أهل المال والتجارة، وكان منهم السفراء ومستقبلو الوفود .

ولما كان الحديث عن أخلاق الصحابة واسعا متشعبا، فقد رأيت أن أتناوله من عدة محاور تدل على تأثر الصحابة بالقرآن، وهدي النبي صلى الله عليه وسلم، وهل كان هديه إلا القرآن؟ وهل كان خلقه إلا القرآن؟ لعل هذه المحاور تسهم في إكمال صورة البناء الأخلاقي لدى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

المحور الأول : الإيمان والقرآن والثبات.
المحور الثاني : الهجرة والجهاد.
المحور الثالث : بناء الدولة وأمور التجارة والمعاش
المحور الرابع : السفارة والوفود

وسأركز الحديث عن صحابي أو اثنين في كل محور من هذه المحاور:

المحور الأول: الإيمان والقرآن والثبات:

تمهيد

يقول الله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، هذه الآية من القرآن الكريم تجمع الإيمان والثبات فالقرآن الكريم هو الدستور الجامع لأحكام الإسلام، وهو المنبع الذي يفيض بالخير والحكمة على القلوب المؤمنة وهو أفضل ما يتقرب المتعبدون بتلاوته ولقد أقبل الصحابة على القرآن حفظاً وتعبداً وتطبيقاً لأحكامه، يقول النبي (صلى الله عليه وسلم) فيما ترويه السيدة عائشة رضي الله عنها: (الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران) رواه البخاري ومسلم .

والصحابة الكرام أمثال مصعب بن عمير هم الذين نزل فيه قول الله تعالى :
﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ٢٣ ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

الصحابي الجليل: (سالم مولى أبي حذيفة) :

نسبه: هو سالم بن معقل من أهل اصطخر، وقد أعتقته أمرأة من الأنصار وهي ثبيتة بنت يعار وهي زوجة أبي حذيفة بن عتبة، وقد أصبح سالما مولى لأبي حذيفة (ولهذا يمكننا القول إنه جمع بين فضيلة المهاجرين والأنصار)، وقد أحسن أبوحذيفة معاملته وزوجه من ابنة أخيه فاطمة بنت الوليد بن عتبة[ix].)

مناقبه:

روى البخاري عن عبدالله بن عمرو بن العاص: (خذوا القرآن من أربعة من ابن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل)(x).

وروى أحمد والحاكم عن عائشة قالت: "استبطأني رسول الله ذات ليلة فقال: ما حبسك؟ قلت: إن في المسجد لأحسن ما سمعت صوتا بالقرآن فأخذ رداءه وخرج يسمعه ، فإذا هو سالم مولي أبي حذيفة، فقال: الحمد لله الذي جعل في أمتي مثلك"(xi). وقد كان لواء المهاجرين يوم اليمامة (وهي معركة المسلمين مع مسيلمة الكذاب) مع سالم مولى أبي حذيفة – فلما انكشف المسلمون قيل لسالم: نخشى أن نؤتى من قبلك فقال : بئس حامل القرآن أنا إن فررت. فقطعت يمينه فأخذه بيساره فقطعت فاعتنقه إلى أن صرع ، فقال لأصحابه ما فعل أبوحذيفة ؟– يعني مولاه – قيل قتل – قال فأضجعوني بجنبه (xii).

ومما يدل على مكانة سالم لدى كبار الصحابة قول عمر –رضي الله عنه – عندما طعن وأدركه الموت: "لو أدركني أحد رجلين ثم جعلت له الأمر لوثقت به ، سالم مولي أبي حذيفة، وأبو عبيدة بن الجراح"(xiii).

وعن عمر بن الخطاب قال: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر سالم مولى أبي حذيفة فقال: إن سالما شديد الحب لله عز وجل". وعن شهر بن حوشب قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه": لو استخلفت سالما مولى أبي حذيفة فسالني عنه ربي عز وجل ، ماحملك على ذلك؟ لقلت: سمعت نبيك صلى الله عليه وسلم يقول: يحب الله ورسوله حباً من قلبه".

وخلاصة القول في سيرة سالم مولي أبي حذيفة. إنه كان قوي الإيمان، يحب الله ورسوله، وكان من أهل القرآن، وقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يؤخذ القرآن منه، وأنه كان مثالا في الشجاعة والثبات، يدل على ذلك المشهد الرائع لثباته واستشهاده في قتال المرتدين في معركة اليمامة، رضوان الله عليه.

المحور الثاني: الهجرة والجهاد:

يقول الله تعالى: ﴿ﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣ ﯤﯥﯦﯧ□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□﴾ (**الصف: ١٠ – ١٣**).

ويقول الله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦﴾ (**آل عمران: ١٤٦**).

ويقول الله تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤١﴾ (**التوبة: ٤١**).

الصحابي الجليل: (أبوأيوب الأنصاري) :

يعرف كثير من المسلمين هذا الصحابي بأنه الرجل الذي نزل النبي صلى الله عليه وسلم ضيفا عليه عندما هاجر إلى المدينة، وهذا شرف عظيم لأبي أيوب ولزوجته أم أيوب ولقومه بني النجار أخوال رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل شرف للأنصار جمعيا الذين مدحهم الله في كتابه العزيز في قوله تعالى: ﴿ﭑﭒ□□

□□□□□□□□□□□□□□□□□□ىىيـ□□□□□□□ ﴿
(الحشر: ٩).

نسبه: أبو أيوب الأنصاري هو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة ينتهى نسبه إلى بني النجار أخوال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ إن سلمى بنت عمرو والدة عبدالمطلب منهم ([xiv]).

إسلامه وضيافته للنبي صلى الله عليه وسلم:

أسلم أبو أيوب على يد مصعب بن عمير سفير رسول الله صلى الله عليه وسلم للمدينة حيث أسلم على يده كثير من الأنصار .

وقد كان أبو أيوب من أصحاب بيعة العقبة الثانية في السنة الثالثة عشرة، وهي بيعة الجهاد التي مهدت الطريق لهجرة النبي صلى الله عليه وسلم للمدينة([xv]).

عندما بركت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم في ديار بني النجار ، سارع أبو أيوب وحمل رحل النبي صلى الله عليه وسلم إلى داره، وأراد غيره من الأنصار أن ينزل النبي صلى الله عليه وسلم معهم ولكنه النبي صلى الله عليه وسلم قال: المرء مع رحله وحل ضيفا على أبي أيوب رضي الله عنه([xvi]).

وقد كان البيت من طابقين. ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفل البيت ولكن تحرج أبو أيوب من ذلك وطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينتقل للطابق الأعلى، إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم فضل أن يبقى حيث هو، وقال صلى الله عليه وسلم: هذا أرفق بنا وبمن يغشانا. وقد انكسر حب (جرة ماء)

لأبي أيوب فقام هو وزوجته ينشفان الماء بلحافهم الذي لايملكون غيره، خوفا من أن ينزل الماء على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أبي أيوب الأنصاري ومصعب بن عمير سفير الإسلام الأول(xvii).

وقد شهد أبو ايوب المشاهد كلها من رسول الله صلى الله عليه وسلم بدر وأحد والخندق ولم يتخلف عن غزوة قط، وكان يتصف بالهدوء والصمت رضي الله عنه (xviii).

بايع أبوايوب الخلفاء الراشدين جميعا، ولم يتخلف عن الجهاد إلا مرة واحدة في خلافة معاوية بن أبي سفيان، لأنه وجد في نفسه من أمير الجيش، ولكنه عاد وندم وقال لنفسه: ما علي من ولي علي. وخرج للجهاد وقد تقدمت به السن وهو يتلو قوله الله تعالى: (ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا)، ويقول: "لا أجدني إلا خفيفا أو ثقيلا"(xix).

وقد وفد أبو أيوب على عبدالله بن عباس وكان أميرا على البصرة في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه – فبالغ ابن عباس في إكرامه، وقال له : لأجزينك على إنزالك النبي صلى الله عليه وسلم عندك، فاعطاه كل ما في المنزل فبلغ ذلك أربعين ألفا، وأعطاه عشرين مملوكا ومتاع البيت كله (xx).فهل تعجب من أبي أيوب، أم تعجب من ابن عباس ابن عم رسول الله صلى الله وسلم وترجمان القرآن.

وفـــاته :

خرج أبو أيوب الأنصاري مجاهدا في جيش المسلمين المتجه نحو القسطنطينية وهو يتلو قول الله تعالى: (ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا)، ويقول: لا أجدني إلا خفيفا أو ثقيلا. وعندما حاصر المسلمون تلك المدنية التي بشر رسول الله صلى الله عليه وسلم بفتحها في الحديث الذي رواه أحمد والبزار عن بشير الخنعمي أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (لتفتحنّ القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش)[xxi].

مرض أبو أيوب وأحس أن أجله قد دنا وقد جاءه أمير الجيش زائرا وسأله عن حاجته، فقال: (نعم إذا أنا مِتُّ فاركب بي ثم تبيع في أرض العدو ما وجدت مساغا فإذا لم تجد مساغا فأدفني ثم أرجع، فلم مات ركب به ثم دفنه)[xxii].

الصحابية جليلة أم حكيم بنت الحارث:

هي أم حكيم بنت الحارث بن هشام المخزومية زوجة عكرمة بن أبي جهل. وقد كانت هذه الصحابية الجليلة سبباً في إسلام زوجها الذي فر إلى اليمن بعد فتح مكة، فأسلمت أم حكيم رضي الله عنها وطلبت الأمان لزوجها عكرمة فأمّنه رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فرحب به النبي (صلى الله عليه وسلم) قائلاً (مرحباً بالراكب المهاجر) وخرجت أم حكيم مع زوجها عكرمة للجهاد في معركة اليرموك حيث استشهد عكرمة في مشهد عجيب من الفدائية والتجرد .

واصلت أم حكيم جهادها رضي الله عنها وتزوجت من الصحابي الجليل خالد بن سعيد بن العاص أحد السابقين الأولين ومن مهاجري الحبشة. ولما كانت معركة مرج الصفر دخل خالد وزوجته وأولم حتى الصباح وما أن فرغوا من الطعام حتى

كانت المعركة قد بدأت فاستشهد خالد رضي الله عنه فشدت أم حكيم عليها ثيابها وأن أثر الحلوق عليها، فقاتلت مع المسلمين وقتلت بعمود الخيمة سبعة من الروم.

رضي الله عن أم حكيم وعن زوجها عكرمة بن أبي جهل وخالد بن سعيد

وصلى الله على سيدنا محمد .

المحور الثالث : بناء الدولة:

الصحابي الجليل: (عمر بن الخطاب – رضي الله عنه):

النبي صلى الله عليه وسلم هو مؤسس دولة الإسلام، وأول ما بادر به بعد الهجرة هو بناء المسجد النبوي، والإخاء بين المهاجرين والأنصار، وموادعة اليهود الذين يسكنون المدينة مع الأوس والخزرج، هذه الأعمال التي بادر بها النبي صلى الله عليه وسلم فيها تأكيد لأهم شعائر الإسلام، وهي: الصلاة التي تجمع الناس، وتؤكد الصلة بالله سبحانه وتعالى، وفيها تأمين لمجتمع المدينة، وتأمين للجبهة الداخلية، وقد كانت هناك عداوات وحروب بين الأوس والخزرج قبل الإسلام، وكان اليهود يثيرون هذه الفتن حتى يظل مجتمع الأوس والخزرج ضعيفا مفككا، حيث يسيطر اليهود على التجارة وبيع السلاح، ويحولون بين اجتماع الأوسط والخزرج وتوحيدهم .

بعد أن لحق النبي صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى، كان لعمر بن الخطاب دور واضح في تولي أبي بكر الخلافة، وذلك عندما بسط يده

لأبي بكر فبايعه في السقيفة، فبايعه الأنصار والمهاجرون واجتمعوا على خلافته اجتماعا كاملا رضي الله عنهم أجمعين.

وكان عمر هو الذي أشار على أبي بكر بجمع القرآن، وذلك بعد واقعة اليمامة التي استشهد فيها كثير من القراء، فقد أخرج البخاري عن زيد بن ثابت، قال: "أرسل إلى أبوبكر فضل الله أليمان وعنده عمر، فقال أبوبكر: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بالناس، وإني لأخشى أن يستمر القتل بالقرّاء في المواطن فيذهب كثير من القرآن، إلا أن يجمعوه، وإني لأرى أن يجمع القرآن، قال أبوبكر: فقلت لعمر: كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عمر: هو والله خير، فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله لذلك صدري، فرأيت الذي يرى عمر، قال زيد: وعمر عنده جالس لا يتكلم. فقال أبوبكر: إنك شاب عاقل، ولا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فأجمعه"([xxiii]). كان عمر عبقريا كما وصفه النبي صلى الله عليه وسلم، والعبقري في اللغة هو النافذ الماضي الذي لاشيء يفوقه، وهو سيد القوم وقيمهم وكبيرهم([xxiv]). وقد روى البخاري قوله صلى الله عليه وسلم في وصفه لخلافة عمر (ثم جاء عمر بن الخطاب فاستحالت غربا فلم أر عبقريا يفري فريه)([xxv]). أي يعمل عمله.

وأبرز إسهامات عمر في تأسيس دولة الإسلام وضعه للتاريخ الهجري كأول يوم لكتابة التاريخ، فقد روى ميمون بن مهران قال: رفع

إلى عمر صك محله شعبان، فقال: أي شعبان؟ أشعبان الذي هو آت؟ أم شعبان الذي نحن فيه؟ ثم قال لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: ضعوا للناس شيئا يعرفونه . فقال بعضهم أكتبوا عن تاريخ الروم فإنهم يؤرخون في عهد ذي القرنين ، فقال: هذا يطول ، فقال بعضهم اكتبوا عن تاريخ الفرس، فقيل : إن الفرس كلما قام مالك طرح تاريخ من كان قبله ، فاجتمع رأيهم على أن ينظروا كم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، فوجدوه عشر سنين ، فكتبوا التاريخ من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم(xxvi).

ومن إسهامه في تأسيس الدولة تكريمه لحفظة القرآن، فقد أخرج أبوعبيد القاسم بن سلاّم في كتاب الأموال ، قال: "إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى بعض عماله أن أعط الناس على تعلم القرآن، فكتب إليه: إنك كتبت: أن أعط الناس على تعلم القرآن، فتعلمه من ليست له فيه رغبة إلا رغبة في الجعل (العطاء) . فكتب إليه أن أعط الناس على المروءة والصحبة"(xxvii).

وسبب هذا الاستثناء أن أحد الصحابة طلب عطاء زائداً واعتذر بانشغاله عن حفظ القرآن بالجهاد فأمر عمر أن يعطى على صحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو قصر في حفظ القرآن .

ومن أسهامه في تأسيس الدولة أن سأل أصحابه أن يدلوه على رجل يكلفه بالإمارة فقالوا له: "ما شرطك فيه؟ قال: إن كان في القوم وليس

). [xxviii]أميرهم كان كأنه أميرهم ، وإذا كان أميرهم كان كأنه رجل منهم"(ولعل هذا إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (القصص: **٨٣**). ومن روائع عمر بن الخطاب في خلافته قوله في عهده للرعية: (لكم علي ألا أجتني شيئاً من خراجكم، ولا ما أفاء الله عليكم إلا من وجهه، ولكم علي إذا وقع في يدي ألا يخرج منه إلا في حقه، ولكم علي أن أزيد عطاياكم وأرزاقكم إن شاء الله وأسد ثغوركم، ولكم علي ألا أُتقي بكم في المهالك، ولا أجمركم (أي أحبكم في ثغوركم) ، وإذا غبتم في البعوث فأنا أبوالعيال حتى ترجعوا إليهم، فاتقوا الله عباد الله وأعينوني على أنفسكم بكفها عني، وأعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واحضاري النصيحة فيما ولاني الله من أمركم)[xxix].)

وكان لعمر باع واسع في اضطلاعه بتفريج الأزمات والكوارث، فعندما وقع القحط في السنة الثامنة – وهو عام المجاعة- نهض عمر للكارثة نهوضه لكل خطب، واستجلب القوت من كل مكان فيه مزيد من قوت، وجعل يحمله على ظهره مع الحاملين إلى حيث الجياع والمهزولين، وآل على نفسه لا يأكل طعاما أنقى من الطعام الذي يأكله الفقير، فمضت عليه شهور لايذوق غير الخبز والزيت[xxx].)

قال للزبير بن العوام عندما وجهه إلى نجد في عام المجاعة على رأس الابل:

(أخرج في أول هذه العير فاستقبل بها نجدا، فاحمل إليّ أهل كل بيت قدرت أن تحملهم إلي، ومن لم تستطع حمله فمر لكل أهل بيت ببعير بما عليه، ومرهم فليكسوا كساءين، ولينحروا البعير، فليحملوا شحمه وليقددوا لحمه وليحتزوا جلده، ثم ليأخذوا كبة قديد وكبة شحم نجم وحفنة من دقيق فليطبخوا ويأكلوا حتى يأتيهم الله برزق)[xxxi].

وهكذا يمكننا القول: إن عمر له إسهام كبير في تأسيس دولة الإسلام، كيف لا وقد نزل القرآن موافقا لرأيه في العديد من المواقف، وهو صاحب فكرة جمع القرآن في خلافة أبي بكر، وهو الذي جعل العطاء لحفظة القرآن، وهو صاحب التاريخ الهجري، وهو صاحب الفراسة وسداد الرأي في اختيار العمال والولاة، وهو العبقري الذي لايفري أحد فريه كما وصفه النبي صلى الله عليه وسلم.

المحور الرابع :السفارة والوفود :

في بداية السنة السابعة للهجرة، وبعد صلح الحديبية حيث مثلت هذه الفترة مرحلة جديدة من مراحل الدعوة بعد الصلح مع قريش، وظهور قوة المسلمين ودولتهم ، كتب النبي صلى الله عليه وسلم للملوك والزعماء داخل وخارج الجزيرة العربية يدعوهم للإسلام ، وفي ذلك دلالة على عالمية الرسالة المحمدية مصداقا لقوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ﴾ (**الفرقان**: ١). ولقوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ۝٤٠ ﴾ (**الأحزاب**: ٤٠).

ودلالة ذلك من سنته صلى الله عليه وسلم قوله فيما يرويه البخاري : "أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة "([xxxii]).

وقد شملت مكاتباته صلى الله عليه وسلم أهل الكتاب وأهل الأديان الوضعية الوثنية، كتب النبي صلى الله وسلم إلى هرقل عظيم الروم، وكتب إلى المقوقس عظيم القبط في مصر، وكتب إلى كسرى ملك الفرس وكتب إلى زعماء وملوك العرب كما كتب إلى النجاشي ملك الحبشة.

وقد أختار النبي صلى الله عليه وسلم السفراء الذين يحملون رسائله اختيارا دقيقا ممن لهم سابق خبرة ومعرفة بتلك البلاد، وكانت لهم هيئة حسنة، وقبول عند من يفدون إليهم، وكانوا من أصحاب الرأي والحكمة وحسن التصرف، ويظهر ذلك جليا في أدائهم لهذه المهمة العظيمة فكان منهم دحية الكلبي أجمل الناس وأحسنهم، وكان منهم عمرو بن العاص صاحب العقل الراجح والحكمة والسداد، وكان منهم عبدالله بن حذاقة السهمي صاحب الصدق والشجاعة وحسن التصرف والثبات .

ويمكننا القول: إن وزارات الخارجية في زماننا الحاضر لا تبلغ في اختيارها هذه الصفات للدبلوماسي الناجح الذي يمثل بلده خير تمثيل .

ونقتصر في هذا البحث على أنموذج واحد لمكاتبات ورسائل النبي صلى الله عليه وسلم للملوك، وهو كتابه للمقوس عظيم القبط والذي حمله الصحابي الجليل حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه .

وحاطب أصله من اليمن من قبيلة لخم وكان حليفا لبني أسد بن عبدالعزى، ولعل ذلك كان السبب في محاولته إخبار قريش بتوجه النبي صلى الله عليه وسلم إليهم في فتح مكة، واتهام عمر رضي الله عنه له بالنفاق، وعفو الرسول صلى الله عليه وسلم عنه عندما قال لعمر إنه: "شهد بدراً وما يدريك – لعل الله أطلع على من شهد بدرا فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم؟ "([xxxiii]). وقد كانت هذه القصة بعد كتابة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والرؤساء، ولكن دلالتها هي براءة حاطب من النفاق وشهادة النبي صلى الله عليه وسلم له بذلك .

وقد جاء في كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس: (من محمد عبدالله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى– أما بعد – فإني أدعوك بدعوة الإسلام ، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فعليك إثم القبط)لقوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٦٤﴾ (آل عمران: ٦٤).[xxxiv]

ولما دخل حاطب على المقوقس وسلمه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم قال له: (ندعوك إلى دين الإسلام الكافي به الله ما سواه، إن هذا النبي دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش، وأعداهم له اليهود، وأقربهم منه النصارى، ولعمري ما بشارة

موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الأنجيل، فكل نبي أدرك قوما فهم أمته ، فالحق عليهم أن يطيعوه، وأنت ممن أدرك هذا النبي، ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكننا نأمرك به) .

فقال المقوقس: (إني نظرت في أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهود فيه، ولا ينهى عن مرغوب فيه، ولم أجده بالساحر الضال، ولا الكاهن الكاذب، ووجدت معه آية النبوة بإخراج الخبء ، والإخبار بالنجوى، وسأنظر)، وأخذ الكتاب فجعله في حُق من عاج وختم عليه ودفعه إلى جارية له، ثم دعا كاتبا له يكتب بالعربية، فكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: بسم الله الرحمن الرحيم ، لمحمد بن عبدالله من المقوقس عظيم القبط، سلام عليكم، أما بعد: فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو إليه، وقد علمت أن نبيا بقي. وكنت أظن أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك، وبعثت إليك بجارتين لهما مكانة في القبط عظيم وبكسوة وأهديت بغلة لتركبها والسلام عليك، ولم يزد على هذا ولم يُسلِم. والجاريتان مارية وسيرين والبغلة دلدل بقيت إلى زمن معاوية) (xxxv).

واتخذ النبي صلي الله عليه وسلم مارية سرية له وهي التي ولدت له إبراهيم، وأما سيرين فأعطاها لحسان بن ثابت الأنصاري (xxxvi).

وقد أوصى النبي صلى الله عليه وسلم بأهل مصر خيرا في الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه، عن أبي ذر قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيرا فإن لهم ذمة ورحماً" (xxxvii). وأورد ابن عبدالحكم الحديث الذي يرويه عبدالرحمن بن كعب

بن مالك عن أبيه، قال (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إذا فتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيرا فإن لهم ذمة ورحماً) ، قال ابن شهاب وكان يقال إن أم إسماعيل عليه الصلاة والسلام منهم، وأخرجه أيضا الليث عن ابن شهاب وفي آخره : قال الليث ، قلت لابن شهاب ما رحمهم ؟ قال إن أم إسماعيل منهم" .

عام الوفود:

في العام التاسع للهجرة توافد زعماء القبائل نحو النبي صلى الله عليه وسلم، حتى تحولت المدينة إلى عاصمة مزدانة ومزدحمة بالمبايعة والالتزام السياسي والديني بالإسلام، كان كل يوم يمر يدني الجاهلية من نهاياتها ويعود كل وفد إلى ديارهم ليحطم رموز الجاهلية من أصنام وأوثان والتي كانت تعبد من دون الله الواحد الأحد(xxxviii).

وجاءت الوفود من شتى نواحي الجزيرة العربية من: الطائف، والبحرين، واليمن، ومن وفود القبائل: وفد مزينة، وبني أسد، وبني محارب، ووفد نصارى نجران، إلى غير ذلك من الوفود .

ولكننا نقتصر على وفد عبدالقيس الذي جاء من البحرين، وقد كان لعبد القيس وفادتان إحداهما قبل الفتح، ولهذا قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم :(بيننا وبينك كفار مضر) يعني كفار قريش وكانت قريتهم بالبحرين أول قرية أقيمت بها صلاة الجمعة بعد المدينة(xxxix).

وقد رحب بهم النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً: (مرحبا بالوفد أو القوم غير خزايا ولا ندامى، وسألوه عملا يدخلهم الجنة فأمرهم بالإيمان بالله وبين لهم أنه

يعني شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وخمس المغنم، ونهاهم عن الخمر، وعن آنيتها حتى ذكر لهم النقير، وبين لهم أنه جذع شجرة تضعون فيه التمر حتى يكون خمرا فإذا سكن من غليانه شربتموه حتى أن أحدكم ليضرب ابن عمه بالسيف وكان في القوم رجل أصابته جراحه بهذا السبب ، قال وكنت أخبئها حياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم)[xl].

وكان في الوفد أشج بن القيس وقد تأخر قليلا عندما قدم الوفد حتى عقل رواحلهم ولبس حلة جميلة، وأثنى عليه النبي صلى الله عليه وسلم لصفتي الحلم والأناة وقال: (إن فيك لخصلتين يحبهما الله ، الحلم والأناة)[xli]. والحلم في اللغة الأناة والعقل ، وحلم عن السفيه والله حليم عن العصاة[xlii].

والحلم والأناة ضد الطيش والعجلة وفيه دليل أن الله يحب من عبده ما جبله عليه من خصال الخير، وفيه دليل على أن الخلق قد يحدث بالتخلق لقوله في الحديث خلقين تخلقت بهما أو جبلني الله عليهما قال بل جُبلت عليهما .

والمعنى أن الله سبحانه وتعالى جبل الأشج على الحلم والأناة ، وهما فعلان ناشئان عن خلقين في النفس، فهو سبحانه وتعالى الذي جبل العبد على أخلاقه. قال الأوزاعي وغيره من الأئمة : (نقول إن الله جبل العباد على أعمالهم، ولا نقول إن الله جبرهم عليها وهذا من كمال العلم ودقيق النظر)[xliii].

الخاتمة:

عندما سئلت السيدة عائشة عن أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم، أجابت السائل بأن خلقه القرآن، وقد أخذ الصحابة هذا المنهج العملي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد مدحهم القرآن بذلك في قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ (التوبة: ١٠٠).

فالصحابة هم القدوة الحسنة لنقل سيرته وأخلاقه، وكذلك يتأكد هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ (الأعراف: ٥٨).

فصحابته صلى الله عليه وسلم من ثماره ، وهم من أقوى الأدلة على نبوته بعد القرآن الكريم، وكذلك قوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ (الفتح: ٢٩)[xliv].

وقد ذكر الأستاذ سيد قطب في تفسير هذه الآية: أن الله كرم الصحابة لهذه الصفات فهم أشداء على الكفار، حتى ولو كانوا آباءهم أو إخوانهم لأنهم قطعوا هذه الوشائج جميعا إلا أخوة الدين والعقيدة، فهي الشدة لله والرحمة لله، وهي الحمية للعقيدة والسماحة للعقيدة. وكذلك كرمهم بأن جعل العبادة المتمثلة في الركوع والسجود هي صفتهم الدائمة، والتعبير يوحي كأن الناظر إليهم لا يراهم إلا ركعا أو

سجدا. ويتواصل هذا التكريم ليؤكد صورتهم من الباطن فهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا، ويتأكد هذا التكريم كذلك بوجود أثر العبادة الظاهرة في ملامحهم، وهي: الوضاءة، والإشراق، والصفاء، والشفافية، وذبول القوي الحي اللطيف، وليس هي النكتة السوداء في عباده المعروفة على الوجه كما يتبادر للذهن.

ولما كان الجانب العملي هو الصورة الأوضح في أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته حاولت أن أنحو منحى عمليا في هذا البحث، بربط الأخلاق بالجوانب العملية في المجتمع المسلم فكان البحث على أربعة محاور هي:

١ – الإيمان والقرآن والثبات .

٢ – الهجرة والجهاد

٣– بناء الدولة

٤– السفارة والوفود .

وقد جاء الحديث عن بعض النماذج من سيرة الصحابة وأخلاقهم من خلال هذه المحاور، فأخذت في محور الإيمان والثبات الصحابي الجليل سالم مولى أبي حذيفة الذي قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه البخاري: خذوا القرآن من اربعة هم: ابن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل . وفي محور الهجرة والجهاد أخذت أنموذجا أبا أيوب الأنصاري خالد بن زيد الذي نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيفا عليه عندما هاجر إلى المدينة، والذي شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورغم هذا خرج للجهاد وهو

). ويقول: "لا أجدني إلا [xlv]شيخ كبير يتلو قول الله تعالى: (ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا)(
خفيفا أو ثقيلا" .

وفي محور بناء الدولة أخذت عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم (لم أرى عبقريا يفري فريه)، وعمر هو الذي أشار على أبي بكر رضي الله عنهما بجمع القرآن لأول مرة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم، وعمر هو الذي وضع التاريخ الهجري للمسلمين .

وفي محور السفارة والوفود أخذت كتاب النبي صلى الله عليه وسلم للمقوقس عظيم القبط في مصر، والذي حمله الصحابي الجليل حاطب بن ابي بلتعة، وعندما دخل حاطب على المقوقس قال له: (ندعوك إلى دين الإسلام الكافي به الله ما سواه، إن هذا النبي دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش وأعداهم له اليهود وأقربهم منه النصاري ، ولعمري ما بشارة موسي بعيسي إلا كبشارة عيسي بمحمد وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الأنجيل فكل نبي ادرك قوما فهم أمته فالحق عليهم أن يطيعوه وأنت ممن أدركه هذا النبي).

هذه العبارات تنطوي على عقل راجح وحكمة عظيمة ومعرفة بالديانات الأخرى ومنطق قوي في الدعوة إلى دين الإسلام ولعل هذا من حكمه اختيار النبي صلى الله عليه وسلم حاطب ابن بي بلعة وغيره من الصحابة الذين حملوا هذه الرسائل .

وختام هذا البحث حديث عن وفد عبدالقيس الذين أكرمهم الله بالإسلام ، كيف لا وقد رحب بهم النبي صلى الله عليه وسلم قائلا: (مرحبا بالقوم غير خزايا ولا ندامى) وأثنى على الأشج وقال له: إن فيك خصلتين يحبهما الله الحكم والأناة). وهكذا جاءت أخلاق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متفردة، وقد اهتدوا بالقرآن وسنة رسول الله وسيرته، فكانوا كما وصفهم القرآن: ﴿ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ .

رضي الله عن أصحاب رسول الله وصلى الله على نبينا محمد .

المصادر :

١- صحيح البخاري .
٢- صحيح مسلم
٣- السيرة النبوية لابن هشام
٤- السيرة النبوية لابن كثير
٥- الماوردي – تسهيل النظر وتعجيل الظفر
٦- ابن حجر – الإصابة في تمييز الصحابة
٧- أحمد أمين – كتاب الأخلاق .
٨- ابن القيم – زاد المعاد
٩- أحمد بن حنبل – فضائل الصحابة
١٠- أحمد بن حنبل – المسند
١١- ابن سعد – الطبقات
١٢- الفيروزابادي – القاموس المحيط
١٣- سعيد حوي – الأساس في السنة وفقهها – السيرة النبوية
١٤- سيد قطب – في ظلال القرآن .
١٥- ابن الجوزي- تاريخ عمر بن الخطاب
١٦- ابن كثير – البداية والنهاية
١٧- القاسم بن سّلام – كتاب الأموال .
١٨- العقاد – عبقرية عمر

١٩- القلقشندي – ديوان الإنشاء
٢٠- ابن عبدالحكم – فتوح مصر وأخبارها
٢١- الطبراني – المعجم الكبير
٢٢- السهيلي – الروض الأنف
٢٣- محمد الصوياني – السيرة النبوية كما جاءت في الأحداث الصحيحة ، قراءة جديدة – مكتبة العبيكان – الرياض ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م

الهوامش المرجعية:

(i) صحيح مسلم – ح ٧٤٦ .

(ii) سعيد حوي، الأساس في السنة وفقهها –السيرة النبوية ١٥١٢/٣، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

(iii) سيد قطب ، في ظلال القرآن ٥١٤/٥١٣/٧ ، دار إحياء التراث العربي بيروت ، لبنان ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م .

(iv) أحمد أمين ، كتاب الأخلاق ٩ دار الكتب العلمية ، بيروت.

(v) الماوردي ، تسهيل النظر وتعجيل الظفر ٥.

(vi) الفيروزبادي – القاموس المحيط ٧٩٨/٢ .

(vii) ابن حجر – الإصابة١ مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٢٨هـ .

(viii) أحمد بن حنبل - فضائل الصحابة ، دار العلم للطباعة والنشر – جدة السعودية .

(ix) ابن حجر ، الإصابة

(x) البخاري ج ٣٧٥٨

(xi) الإمام أحمد ، المسند ١٦٥/٦ والمستدرك للحاكم ٢٢٦/٣ وصححه الذهبي

(xii) ابن المبارك في كتاب الجهاد

(xiii) الإمام أحمد – المسند ٢٠/١

(xiv) السهيلي – الروض الأنف ١٣٠/١ دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ١٤٠٩ – ١٩٨٩م

(xv) ابن هشام – السيرة النبوية ٢/ ١٠٠ – مطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر ١٩٣٦م

(xvi) ابن هشام – السيرة النبوية ٤٩٤/١ – زاد المعاد ٥٥/٢

(xvii) ابن حجر – الأصابة

(xviii) ابن هشام – السيرة النبوية ٢/ ١٠٠

(xix) ابن سعد – الطبقات ٤٨٥/٣

(xx) احمد بن حنبل المسند ٤٢٣/٥

(xxi) احمد في مسنده ٣٣٥/٤

(xxii) ابن مسعد – الطبقات ٤٨٥/٣ في طريق اسماعيل بن ابراهيم الأسدي ورجاله ثقات

(xxiii) صحيح البخاري ، بشرح فتح الباري ، ١٠/٩ المطبعة السلفية

(xxiv) الفيروزابادي – القاموس المحيط ٨٦/٢

(xxv) البخاري — فتح الباري — ٣٣/٧

(xxvi) ابن الجوزي — تاريخ عمر بن الخطاب ٧٥ — الكامل في التاريخ ١٠/١ البداية والنهاية لابن كثير ٧٣/٧ وذكر زيادة على أن علي بن أبي طالب هو الذي أشار بوضع التاريخ من الهجرة فأمر عمر بذلك

(xxvii) القاسم بن سلام الاموال ص ٣٣٣ ج ٦٤٣

(xxviii) العقاد — عبقرية عمر ١٠٧ المكتبة العصرية - بيروت

(xxix) العقاد — عبقرية عمر ١١١ المكتبة العصرية ، بيروت

(xxx) **ابن سعد – الطبقات الكبرى ٣١٢/٣**

(xxxi) **المصدر نفسه ٣١٥/٣**

(xxxii) البخاري - الصبح ج ٣٣٥ — فتح الباري ٤٣٦/١

(xxxiii) البخاري — فتح الباري — ١٠٩/١٦

(xxxiv) القلقشندي — ديوان الانشاء — ابن عبدالحكم — فتوح مصر واجبارها ص ٤٥٦ — الآية آل عمران ٦٤

(xxxv) محمد حميد الله ، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي ، والخلافة الراشدة ١٣٥ / ١٣٦

(xxxvi) ابن كثير — السيرة النبوية ١٦٢/٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت

(xxxvii) وكذلك أخرجه االطبراني في معجمه الكبير والبيهقي وابونعيم في دلائل النبوة وهو حديث صحيح

(xxxviii) محمد الصوياني ، السيرة النبوية كما جاءت في الاحاديث الصحيحة ، قراءة جديدة ، ١٧٧/٤ مكتبة العبيكان ١٤٢٧م — ٢٠٠٦هـ

(xxxix) صحيح البخاري ٣٠٤/١

(xl) صحيح البخاري ٢٦٥٢/٦

(xli) صحيح مسلم ١٥٦٣/٣

(xlii) الزمخشري اساس البلاغة ١٩٥ — الهيئة العامة لقصور الثقافة — ٢٠٠٣ ، القاهرة

(xliii) **ابن القيم – زاد المعاد ٢ /٣١/٣٠ المطبعة االمصرية ومكتبتها .**

(xliv) الفتح ٢٩ .

(xlv) **التوبة (٤١) .**